

الترهيب من سوء الظن بالله وبالرسل وبالمسلمين

إخوة الإيمان: اتقوا الله وراقبوه في السر والعلن، عباد الله: كنا في الجمعة الماضية مع حسن الظن بالله وبالرسل وبالمسلمين، وهو خلق عظيم من صفات المؤمنين الصادقين، ونحن اليوم مع الترهيب والتحذير من سوء الظن بالله وبالرسل وبالمسلمين، حديثنا اليوم عن خلق ذميم، يُفسد على العبد دينه ودينه، ويوقعه في الإثم والعدوان، ألا وهو سوء الظن بالله، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن سوء الظن بالله ويرسله كفر صريح، فقد قال قوم نوح عن نبيهم: **إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [الأعراف]** وهكذا اتهموا الأنبياء بالكذب والسحر والجنون، والله قد زكاهم واصطفاهم، وسوء الظن بالناس كذلك خلق ذميم، يوقع العداوة، ويفسد العلاقات، ويؤدي إلى التجسس والغيبة، وقد نهانا الله عن ذلك في كتابه بقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ... [الحجرات]** وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وفي الحديث الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، عباد الله: يُعد سوء الظن بالله من كبائر الذنوب، بل هو كبيرة عظيمة تُغضب الله وتؤدي إلى عذابه ولعنته، وهو ينافي التوحيد، ويؤدي إلى القنوط من رحمة الله، وإساءة الظن بالخلق من بعد ذلك أمر محرم على المسلمين، فسوء الظن بالله خطير، بل سوء الظن بالله ينافي التوحيد، احذروا سوء الظن بالله وبالمسلمين، فهو خلق ذميم من صفات المنافقين، بل سوء الظن بالله حال المشركين والمنافقين، قال تعالى: **وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**، بل الذين أساءوا الظن بالله، يقول الله عنهم: **يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ [آل عمران]** إن سوء الظن بالله من أعظم الذنوب، لأنه اتهام لله في عدله وحكمته، واعتراض على قضائه وقدره، ولذا قيل هو من صفات المنافقين، وسوء الظن معناه: الشك والارتياب، وعدم الثقة بوعده الله ووعيدته، فإن كان بالخالق كان شكًا يؤول إلى ضلال...، وكذلك سوء الظن بالأنبياء، قال التَّوَوِيُّ: **ظَنَّ السُّوءِ بِاللَّهِ وَالْأَنْبِيَاءِ كَثُرَ بِالْإِجْرَاعِ**، وقال الماوردي: **يَحْرُمُ سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَالرُّسُلِ وَالْمُسْلِمِينَ**، وقال ابن القيم: **أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَالرُّسُلِ، وَعَدَّةُ الهَيْبَةِ فِي الْكِبَائِرِ، وَالْخِلَاصَةُ: أَنَّ سُوءَ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ،** وكذلك **يَحْرُمُ سُوءُ الظَّنِّ بِمَنْ ظَاهَرَهُ الْعَدَالَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،** وقد عدَّ الهَيْبِيُّ فِي الْكِبَائِرِ، ولذا قيل: سوء الظن بالله مجلبة لغضب الله وسخطه ولعنته، قال الغزالي: **اعلم أنَّ سُوءَ الظَّنِّ بالناس حرامٌ مثل سُوءِ القول؛** فكما يحرم عليك أن تحذرت غيرك بلسانك بمساوي الغير، فليس لك أن تحذرت نفسك وتسيء الظن بأخيك، ومن صور سوء الظن بالله، أن يظن العبد بالله بأنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، وكذلك من ظن انتصار الباطل على الحق انتصاراً دائماً وفي كل الأوقات فقد أساء الظن بالله، ومن ظن بالله أنه سبحانه يخذل من توكل عليه، أو لا يقبل من تاب إليه، أو لا يتقبل عمل من أحسن عبادته، أو أنه لا يغفر له، ولا يرحمه كل هذا من سوء الظن بالله، وتكون عاقبته حينئذ أن يوقع الله عليه ما ظنَّه به جزاءً وفاقاً، وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه: [زاد المعاد في هدي خير العباد] صوراً كثيرة لسوء الظن بالله في كلام طويل وماتع - أقتصر منه على ما يناسب موضوعنا وحالنا في الجمل الاتية، قال رحمه الله: أكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظنَّ السُّوءِ فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وعرف أساءه وصفاته، وعرف حكمته - فَمَنْ قَنَطَ أَوْ قَنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَأَيْسَ مِنْ رُوحِهِ، فقد ظنَّ بالله ظنَّ السُّوءِ، لأن الله يقول: لا تقنطوا من رحمة الله. وقال: وَمَنْ يَقْطُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ {الحجر} وفي تفسير ابن المنذر عن علي رضي الله عنه قال: من سوء الظن بالله: الأُمنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ الْحَقَّ، وَلَا يُبَيِّمُ أَمْرَهُ، وَلَا يُؤَيِّدُ حَزْبَهُ، وأنه ينصر الباطل على الحق ولا يقوم بعده أبداً، فقد ظنَّ بالله ظنَّ السُّوءِ، لأنه نسبته إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فَإِنَّ حَمْدَهُ وَعِزَّتَهُ وَحُكْمَتَهُ وَالْهَيْبَةَ تَأْتِي ذَلِكَ، وتأتي أن يُذَلَّ حَزْبُهُ وَجُنْدُهُ وَأَنَّ تكون النُّصْرَةُ الْمُسْتَقْرَّةَ وَالظَّفَرُ الدَّائِمَ لأعدائه، فمن ظنَّ به ذلك فما عرفه ولا عرف أساءه ولا عرف صفاته وكراله وظنَّ بالله ظنَّ السُّوءِ، فلا تظنن بربكم ظن السوء. فإنَّ الله أولى بالجميل - وكذلك مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكوته وعظمته، وكذلك مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يكون قَدْرَ مَا قَدَّرَهُ مِنْ ذَلِكَ وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة وغاية مطلوبة هي أحب إليه، فقد ظنَّ بالله ظنَّ السُّوءِ - وَمَنْ جَوَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يعذب أوليائه مع إحسانهم وإخلاصهم ويُسوِّي بينهم وبين أعدائه، فقد ظنَّ به ظنَّ السُّوءِ، لأن الله يقول: أم حسب الذين اجترحوا - وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَجْمَعَ عَيْبُهُ بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته، وَيُؤَيِّنُ لِخَلْقِهِ حَقِيقَةَ ما اختلفوا فيه، وَيُظْهِرُ لِلْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظنَّ به ظنَّ السُّوءِ - وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُصَيِّغُ عَلَيْهِ عمله الصالح الذي عمله خالصاً لوجهه الكريم على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب، أو ظنَّ أَنَّهُ يعذب من أفنى عمره في طاعته، وَيَتَّقِمُ مِنْ اسْتَنْفَدَ عُمْرَهُ فِي عداوته وعداوة رُسله ودينه، فيرفعه إلى أعلى عليين، فقد ظنَّ به ظنَّ السُّوءِ - وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إذا صدقه في الرغبة والرغبة، وتضرع إليه وسأله، واستعان به وتوكل عليه أَنَّهُ يجيبه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظنَّ به ظنَّ السُّوءِ، وظنَّ به خلاف ما هو أهله. - وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إذا أغضبه وأسخطه، وأسرع في معاصيه ثم اتخذ من دونه ولياً، ودعا من دونه ملكاً أو بشراً حياً أو ميتاً يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه فقد ظنَّ به ظنَّ السُّوءِ، بل ذلك زيادة في بعده من الله وفي عذابه، نسأل الله أن يثبتنا على الحق، وأن ينصر الإسلام وأهله المدافعين عنه، وأن يخذل الحاقدين والكارهين والمُرْجِفِينَ فِي كُلِّ مكان، آمين. **خطبة الجمعة ليوم 5 دجنبر 2025 م****